بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تقديم

الأستاذ الداعية

محمد راتب النابلسي

طُلب مني أن أقدم كتاب (**الإسلام ومشكلات العصر**) للأخ الكريم الأستاذ عمر أحمد عمر ، فأمضيت ساعات عدة في تصفح الكتاب ، فخرجت من تصفح الكتاب بانطباعين ؛ الأول : إن الإنسان ـ فرداً ومجتمعاً ـ أعقد مخلوق على وجه الأرض ـ تعقيد إعجاز لا تعقيد عجز ـ وأن له صانعاً متقناً هو الله ؛ وأن لهذا الصانع المتقن تعليمات وتوجيهات ، وأن الجهة الصانعة هي التي ينبغي أن تُتَّبَع تعليماتها وتوجيهاتها ؛ لأنها الجهة الخبيرة الوحيدة .

فانطلاقاً من حرص الإنسان ـ أي إنسان ـ الشديد على سلامته وسعادته انطلاقاً من حب الإنسان لوجوده ولسلامة وجوده ولكمال وجوده ولاستمرار وجوده ، عليه أن يتّبع تعليمات الصانع ، وهي المنهج الإلهي لهذا الإنسان ، قال تعالى : ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣] وقال تعالى : ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨] ، فمن يتبع هدى الله لا يضل عقله ولا تشقى نفسه ولا يندم على ما فات ولا يخشى مما هو آت .

والانطباع الثاني : هو أنه ما من مشكلة على وجه الأرض ـ قديماً

وحديثاً ـ في المجتمعات المتطورة والنامية ، إلا بسبب خروج عن منهج الله ، وما من خروج عن منهج الله إلا بسبب الجهل ، فالجهل أعدى أعداء الإنسان ، والجاهل ـ فرداً أو مجتمعاً ـ يفعل في نفسه ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به ، لذلك قال الإمام الشافعي ، رحمه الله تعالى : إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم ، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم ، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم .

ولعل معظم فصول الكتاب تصبُّ في توضيح الأسباب لأكبر مشكلة تعاني منها الشعوب والدول النامية ، ألا وهي **الفقر** .

فالفقر من أقدم المشكلات الإنسانية ، والإسلام ينكر أشد الإنكار **النظرة التقديسية** للفقر ، بل يجعل الغنى نعمة يمتن الله بها على عباده ، ويطالب بشكرها ويجعل الفقر مشكلة يُستعاذ بالله منها ، وهو الذي يقول في القرآن الكريم : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾ [الضحى: ٦-٨] .

ولعل كلمة الغنى في القرآن الكريم ، تعني أن يكون الإنسان مستغنياً عن سؤال الناس ، أن يجد حاجاته ، أما المفهوم الآخر ، الذي يُستنبط من الممارسات الخاطئة ، وهو الإسراف ، والتبذير ، والترف ، والاستعلاء فهذه المعاني كلها ، ليست لها علاقة بمفهوم الغنى في القرآن الكريم . يقول عليه الصلاة والسلام :

« **اللهم من أحبني فاجعل رزقه كفافاً** » .

والفقر المدقع خطر على العقيدة ، ولا سيما إذا كان هذا الفقر المدقع بجانبه ثراء فاحش ، وبخاصة ، إذا كان الفقر هو الساعي والكادح والمترف هو المتبطل القاعد .

ورد عن بعض السلف ، أنهم كانوا يقولون : إذا ذهب الفقر إلى بلد قال له الكفر خذني معك .

وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **كاد الفقر أن يكون كفراً** »[1] .

لعل هذا الفقر المدقع ، مع ذلك الثراء الفاحش ، مع ضعف الإيمان يسبب خللاً واضطراباً في عقيدة المسلم .

فالفقر خطر على **الأخلاق والسلوك** ، فقد ورد عن رسول الله ﷺ : « **أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كان يَدْعُو فِي الصَّلاةِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وفِتْنَةِ الْمَمَاتِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ مِنَ الْمَغْرَمِ فَقَالَ إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ** »[2] .

والفقر خطر على الفكر الإنساني ، فقد قال عليه الصلاة والسلام : « **لا يقضي القاضي حين يقضي وهو غضبان** » .

وقد حمل الفقهاء على هذا الحديث ، ثلاثاً وثلاثين حالة ، أحدها الجوع الشديد ، فالجوع الشديد يجعل الفكر يضطرب .

وقد ورد عن بعض الأئمة الكبار قوله : لا تستشر من ليس في بيته دقيق .

والفقر خطر على الأسرة نفسها ، قال تعالى : ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥١] .

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة والبيهقي عن أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم والنسائي وأبو داود وابن ماجه وأحمد .

وفي آية أخرى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء : ٣١] .

فالفقر في الآية واقع من إملاق ، أو متوقع خشية إملاق ، خطر على الأسرة .

الفقر خطر على العقيدة ، والفقر خطر على الأخلاق والسلوك ، والفقر خطر على الفكر الإنساني ، والفقر خطر على الأسرة .

والإسلام فضلاً عن أنه ينكر أشد الإنكار النظرة التقديسية للفقر ينكر أشد الإنكار النظرة الجبرية للفقر ، وإليكم آية في القرآن الكريم تؤكد ذلك ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [يس : ٤٧] .

هؤلاء الذين كفروا ، يتوهمون أن الفقر لا بد منه ، بل قدر الله على الإنسان ، ينبغي أن يكون الفقير فقيراً ، أو أن يبقى الفقير فقيراً ، هذه النظرة الجبرية للفقر ينكرها الإسلام أشد الإنكار .

هناك **فقر القدر** ، وهناك **فقر الكسل** ، وهناك **فقر الإنفاق** .

قد يُصاب الإنسان بعاهة ، أو بمرض عضال ، أو بمشكلة تحول بينه وبين الكسب ، فهذا **فقر القدر** ، هذا قدر من الله عز وجل ، وفيه حكمة بالغة ، لو كُشفت لشكر الفقير ربه على هذا الفقر ، فقر القدر هو قضاء وقدر ، والمجتمع متكافل متضامن .

أما **فقر الكسل** ، فهو فقر الإهمال ، فقر التبطل ، فقر القعود ، فقر الراحة ، هذه كلها تؤدي إلى الفقر ، هذا الفقر مذموم ، والإنسان محاسب عليه ، وقد دخل أحد الصالحين المسجد ، فرأى شاباً يصلي في غير أوقات الصلاة ، قال : يا هذا من يطعمك ، قال : أخي ، قال : أخوك أعبد منك .

« وقد أمسك النبي ﷺ بيد ابن مسعود وكانت خشنة من العمل ، فقال عليه الصلاة والسلام : إن هذه اليد يحبها الله ورسوله » .

وكان عمر رضي الله عنه يقول : إني أرى الرجل ليس له عمل فيسقط من عيني .

إن العمل الذي يرتزق منه الإنسان ، إذا كان في الأصل مشروعاً ، وسلك فيه الطرق المشروعة ؛ لم يكذب ، ولم يدلس ، ولم يغش ، ولم يحتكر ، ولم يخالف منهج الله في كسب الرزق ، ونوى من هذا العمل كفاية نفسه وأهله ، ونوى به أيضاً خدمة المسلمين ، ولم يصرفه عن طاعة ، ولا عبادة ، ولا أداء واجب ، ولا طلب علم ؛ انقلب هذا العمل إلى عبادة ، فطلب الحلال فريضة بعد الفريضة .

هذا فقر الكسل المذموم ، الذي يزدريه الإسلام ويُحاسب عليه : عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْماً أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ »[1] .

أما فقر الإنفاق فهو فقر آخر : « جاء رجل إلى النبي عليه الصلاة والسلام ، قال : يا رسول الله ، والله إني أحبك ، قال : انظر ما تقول ، قال : والله إني أحبك ، قال : انظر ما تقول ، قال : والله إني أحبك ، فقال عليه الصلاة والسلام : إذا كنت صادقاً فيما تقول ، للفقر أقرب إليك من شرك نعليك » .

يعني إن أحببتني حقيقة ، لا بد من أن تنفق جزءاً من مالك في سبيل الله ، ولا بد من أن تعطي من مالك الذي أعطاك الله ، فهذا فقر الإنفاق وسام شرف للمؤمنين ، السابقين إلى رضوان الله ، الذين قدموا مالهم أمامهم ليسرهم اللحاق به .

---

(١) أخرجه مسلم وأبو داود وأحمد.

يقول عليه الصلاة والسلام : « **إني لا أعلم شيئاً يبعدكم من الجنة ويقربكم من النار إلا نهيتكم عنه وإن الروح الأمين نفث في روعي : أن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها وإن أبطأ عنها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب** »[1] .

الرزق مضمون ،لكنه يحتاج إلى حركة ، إلى سعي ، أرأيت إلى الطير ، تغدو خماصاً ، وتعود بطاناً ، كأن النبي عليه الصلاة والسلام ذكر الطير ليضرب المثل الأعلى في ضمان الرزق ، ومع ذلك تغدو من أعشاشها خماصاً ، وتعود إليها بطاناً « **إن الله كتب عليكم السعي فاسعوا** »[2] .

وقال النبيّ ﷺ : « **إنَّ اللهَ تَعالى يَلُومُ على العَجْزِ ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ بالكَيْسِ فإذَا غَلَبَكَ أمْرٌ فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ ونِعْمَ الوَكِيلُ** » .

وقد عالج الإسلام مشكلة الفقر ، عالجها بالعمل ، وعالجها بكفالة الموسرين من الأقارب ، وعالجها بالزكاة ، وعالجها بإيجاد واجبات على أغنياء المسلمين غير الزكاة .

محمد راتب النابلسي

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في القناعة ، والحاكم من حديث ابن مسعود وذكره شاهداً لحديث أبي حميد وجابر وصححهما على شرط الشيخين ، وهما مختصران ، ورواه البيهقي في شعب الإيمان وقال : إنه منقطع .

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير عن ابن عباس ، تصحيح السيوطي : ضعيف .